هل التعايش الديني يستلزم فقدان الهوية؟

د. حسن بن محمد ماخذي

أستاذ مساعد

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

مستخلص. لا شك أن للتعايش أهمية كبرى كونه صمام الأمان للمجتمعات من التمزق والشتات، حيث انعدامه يؤدي إلى الحروب. كتبت الكثير من المقالات حول التعايش لمعالجة مشكلة الصراعات التي كان السبب الرئيس في اذكاء نارها هو الاختلاف في الهوية وعدم قبول الآخر وكراهيته والنفور منه، مما أدى إلى إهلاك الحرث والنسل وإفساد الأرض وخرابها بدلاً من إعمارها. ركزت تلك الكتابات حول أهمية التعايش وضرورة قبول الآخر المختلف دينياً أو ثقافياً أو عرقياً، حتى لا يحصل الصدام والصراع الذي يؤدي إلى إزهاق الأرواح. في المقابل هناك فئة جديدة من المجتمع ظهرت مع انتشار وتوسع وسائل التواصل الاجتماعي ترى أن من أهم مقومات التعايش عدم التركيز على الاختلافات ونكرانها وإذابة الفوارق بين المختلفين لدرجة الانصهار في الآخر.

يناقش البحث قيمة التعايش في المجتمعات متعددة الهويات والأعراق والثقافات والأديان، وأهمية التعايش في تلك المجتمعات التي تزخر بالتعددية، مع الحفاظ على الهوية والتميز عن الغير، كما تطرقت الورقة إلى تعريف التعايش والهوية اصطلاحاً. والسبب في تسليط الضوء على هذا الموضوع أمران، الأول: التقدم التقني الذي كان أحد نتائجه الانفتاح الثقافي الذي يشهده العالم اليوم، مما سهل التواصل والالتقاء بالثقافات الأخرى، والأمر الآخر هو خلط المفاهيم الذي أدى إلى الانسلاخ من الهوية بحجة التعايش، فبرزت فئة في المجتمع ترى ضرورة الذوبان في الآخر وذلك بالدعوة للتعايش من خلال إلغاء الفوارق حسب اعتقادهم. وقد تبين من خلال البحث أهمية الحفاظ على الهوية كونها هي الحاضنة للتعايش البناء الإيجابي، فبيئة التعايش هي التميز بالهوية والتفرد عن الآخر لا الانصهار والذوبان.

كلمات مفتاحية: تعايش - حوار - هوية

المقدمة

إن الانفتاح الذي يشهده العالم اليوم (ونقصد به الانفتاح الثقافي) جَمَعَ ثقافات العالم جميعها في شاشة واحدة، بل بلمسة نستطيع أن ننقل من ثقافة إلى أخرى

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خير خلق
الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التعليمية التقليدية التي كانت هي المصدر لتشكيل الهوية (من مدرسة ومنزل ومجتمع) واضحة أو متاحة بسهولة، وبالتالي تعرضت وتعرض الهوية للتهديد أو الطعن بطريقة ما وتحتاج إلى تأكيد صريح لماهيتها والحفاظ عليها.¹

هذا الواقع الذي نعيشه اليوم من انفتاح على العالم بأسره من خلال مواقع التواصل الاجتماعي أظهر نوعين من الناس في المجتمع؛ نوع انغلق على نفسه فلم يكتفي بتجاهل الآخر وعدم التعايش معه بل حكم عليه في بعض الحالات بالموت، ونوع في الطرف المقابل، انفتح على الآخر ورأى أنه لا بد من الذوبان في تلك الثقافة حتى نستطيع التعايش، فانسلخ من هويته وثقافته واستبدلها بثقافات أخرى لا تمت لتاريخه بصلة. كلا الطرفين اخطأوا الحكم في الموضوع، فلا الانغلاق التام يجدي نفعاً، ولا الذوبان والانصهار الثقافي يحقق تعايشاً بناءً، لأن كلا الأمرين مخالف لفطرة الله الذي يقول مخاطباً بني البشر، (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم). فالتعارف والتلاقي والتعايش كانت من الحكم وراء جعل الناس مختلفين وهو القدرة على التعامل مع التعددية الثقافية مما يزيد من روح التسامح ونبذ التعصب والتطرف، وبالتالي يحصل التلاقي والتعارف.

يتكون هذا البحث من الموضوعات التالية:

ونكون صداقات من تلك الثقافة ومن غيرها، حيث أصبحت الصداقات من خلال تلك المواقع واقعاً وثقافة جديدة فرضت نفسها على العالم، فأصبحت جميع المجتمعات التي وصلتها تلك التقنية منفتحة على الآخر، وبدأ أفراد ذلك المجتمع ينبي صداقات من مختلف دول العالم مما أدى إلى "انفتاح" تلك المجتمعات، حتى تلك التي كانت توصف بأنها مجتمعات مغلقة (ان صح التعبير)، أصبحت مطلعة ومنفتحة على الآخر. زامن هذا الأمر ظهور وشيوع مصطلحات مثل التعايش بين الثقافات؛ وبدا وكأن البعض يخلط بين التعايش وبين فقدان الهوية والانسلاخ منها، بمعنى آخر الذوبان في الآخر المختلف هوية وثقافة. خلط المفاهيم وعدم إدراك الفروق بينهما أدى إلى ذوبان البعض وانسلاخه عن دينه بحجة "التعايش والانفتاح على الآخر". هذا الانفتاح التكنولوجي، الذي ساهم بلا شك في زيادة الأفكار المطروحة، وسرعة انتقالها، وانتقال الثقافات التي وُلدت فيها تلك الأفكار بين أقطار العالم، ومن ثم انتشارها في عالمنا الإسلامي، ودورها في تغيير العلاقات الاجتماعية، لا شك أن هذه الأفكار وانتقالها كان لها تأثير في إحداث تغييرات اجتماعية ونفسية أدت في بعض الحالات، إلى انعدام الأمن في العلاقات الشخصية، كل هذه التطورات ساهمت في الشعور بالشتات وضياح الهوية، حيث لم تعد الموارد

Foundation Series on Digital Media and Learning. Cambridge, MA: The MIT Press, 2008.

¹ Buckingham, David. "Introducing Identity." *Youth, Identity, and Digital Media*. Edited by David Buckingham. The John D. and Catherine T. MacArthur

٣- تصور مقترح لزيادة وعي طلاب الجامعات السعودية لمبدأ التعايش السلمي مع الآخر، حياة عبدالعزيز محمد نياز، مجلة العلوم التربوية، العدد ٢ ج/٢، (٢٠١٧): ٢٠٤-٢٦٤.

حاولت الباحثة تقديم مقترح لنشر وعي التعايش بين فئة الطلاب لعلاج بعض السلوكيات السلبية التي ظهرت بين الشباب كالغلو والعنصرية والتطرف، مستشهدة ببعض احداث العنف التي حدثت في المملكة العربية السعودية، مستعينة بمسح ميداني من خلال استبانات وزعت على طالبات جامعة ام القرى وجامعة الملك عبدالعزيز.

٤- التعايش السلمي بين الشعوب والأديان "دراسة تأصيلية تطبيقية من خلال السيرة النبوية"، رشيد كهوس، ديسمبر ٢٠١٦ العدد الأول مجلة أصول الدين الصادرة من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية بليبيا.

قدم الباحث تعريفاً لمعنى التعايش وأصوله من الكتاب والسنة ثم قدم نماذجاً للتعايش من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والهدف من ذلك هو بيان ثقافة الإسلام في التعايش والكشف عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الآخر، وكيف أن الإسلام كان له السبق في تقرير مبدأ التعايش السلمي والدعوة إليه.

٥- التعايش والتسامح الديني: رؤية تاريخية من خلال نماذج إسلامية د. رشيد شيخو في كتاب التعايش وأشكاله من منظور إسلامي، تحرير متين شريف أوغلو، مكتبة أذن، استنبول (٢٠٢٠): ٣٧ - ٧٨.

١- الدراسات السابقة

٢- منهجية البحث

٣- تعريف الهوية

٤- تعريف التعايش

٥- أسس وأهداف التعايش من منظور إسلامي

٦- الخاتمة.

١- الدراسات السابقة:

١- التعايش السلمي للأديان وفقه العيش المشترك: نحو منهج التجديد، محمد مختار متروك، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٤م.

تناول المقال القيم المشتركة بين الأديان، ثم تطرق لوثيقة المدينة كنموذج من أفضل النماذج للعيش الإنساني المشترك، بعدها انتقل الكاتب إلى الحديث عن خطورة التكفير على العلاقات الإنسانية والعيش المشترك، وأهمية التنوع الثقافي في اللحمة الوطنية.

٢- مفهوم التعايش بين الأديان، أحمد محمد رحومه، مجلة أصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد ٤، ١١١-١٤٢.

تطرق البحث لموضوعات تتعلق بموقف الإسلام من التعايش وذلك من خلال استعراض ومناقشة أهمية التعايش في الإسلام، وعدم اكراه الإسلام على اعتقاد معين، وكيف يجب أن تكون علاقة المسلم بأهل الذمة والتزامات الدولة الإسلامية تجاههم على ضوء لكتاب والسنة. حاول الباحث من خلال بحثه إيجاد حل لمشكلة عدم فهم الخطاب الديني الإسلامي مما أدى إلى كره الآخر المختلف وعدم التعايش معه.

تحرير متين شريف أوغلو، مكتبة أذن، استنبول (٢٠٢٠): ١٨٠-٢٠٢

سلط الباحث الضوء على العصر العباسي ودوره في إثراء مفهوم التعايش حيث كان العصر العباسي هو العصر الذي يمثل دور الازدهار للحركة الفكرية في الحضارة الإسلامية، وأن تحقيق فكرة القابلية للتعايش هي من أهم أسباب تفوق المسلمين الثقافي وتقديمهم السريع. كما أكد الباحث على أن الحضارة الإسلامية خصوصاً في العصر العباسي كانت تتعايش مع الأفراد داخل أراضيها في حالة من الحوار الفكري العميق، مما أنتج جملة من العلوم النظرية منها والتطبيقية.

٩- اللغة بين التواصل والتعايش، د. خالد حسن العدوان في كتاب التعايش وأشكاله من منظور إسلامي، تحرير متين شريف أوغلو، مكتبة أذن، استنبول (٢٠٢٠): ٢٠٣-٢٣٩

قام الباحث بتوضيح مفاهيم اللغة والتواصل والتعايش والعلاقة بين هذه المفاهيم وأهمية العلاقة بينها. حيث توصل الباحث إلى أن اللغة والتواصل والتعايش عناصر مهمة في حياة المجتمعات البشرية، بل المجتمعات البشرية تعتمد في مقوماتها على هذه الأركان الثلاثة.

١٠- مفهوم التعايش السلمي والاعتراف بالآخر: محاولة لفهم على ضوء نظرية الفعل التواصل لهابرماس. حسام الدين فياض من كتاب التعايش

قدم الباحث بحثاً وصفيًا في موضوع ظاهرة التعايش في ضوء القرآن والسنة والاستشهاد على ذلك من خلال نماذج من التعايش في التاريخ الإسلامي ابتداء من العهد النبوي وحتى الدولة العباسية. هذا وقد أكد الباحث من خلال بحثه على سماحة الإسلام وأن ما بلغه الإسلام من حضارة وتطور كان بسبب انفتاحه على الآخر واعطائه حقوقه.

٦- التعايش السياسي: جدلية التعايش والاندماج والهوية. د. محمد رشيد، في كتاب التعايش وأشكاله من منظور إسلامي، تحرير متين شريف أوغلو، مكتبة أذن، استنبول (٢٠٢٠): ٧٩-١١٨

قام الباحث بتعريف التعايش وأنواعه وشروط تحقق كل نوع منه وفوائده على المجتمع ثم ختم بحثه بالجواب على السؤال كيف يمكن تحقيق التعايش السلمي؟

٧- دور وسائل الاعلام في نشر وتعزيز ثقافة التعايش السلمي في المجتمعات (دراسة سوسيولوجية تحليلية) د. ميادة القاسم في كتاب في كتاب التعايش وأشكاله من منظور إسلامي، تحرير متين شريف أوغلو، مكتبة أذن، استنبول (٢٠٢٠): ١٤١-١٧٩

ترى الباحثة أن هناك ظاهرة عدم تعايش وعدم تسامح بالتالي كان لابد من نشر ثقافة التعايش والتسامح من خلال الإعلام ودوره في تطور وتعزيز ثقافة التعايش السلمي

٨- دور الحركة الفكرية في إثراء مفهوم التعايش في العصر العباسي الأول: رؤية تحليلية تاريخية. نرجس كدرو في كتاب التعايش وأشكاله من منظور إسلامي،

للأبحاث والدراسات- العدد ٤١: ١، (٢٠١٧): ١٨١-١٩٦

تناول الباحث موقف الإسلام من التعايش والأسس التي وضعها الإسلام للتعايش وأهدافه ومجالاته ثم ختم بحثه بسرد بعضا من مشكلات التعايش في عصرنا الحديث، حيث توصل الباحث إلى أن مفهوم التعايش السلمي الحق في الإسلام هو الموافق لمعنى البر والإحسان وحسن المعاملة وحسن الجوار بالإضافة إلى حفظه لحرية الاعتقاد والكرامة الإنسانية، وأن الأصل في الإسلام هو السلام والسلم والحرب أمر عارض طارئ.

١٣- التعايش المشترك في الأنظمة الفدرالية: كندا نموذجاً. بشارت زنكنه، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسة: ٥١ - ٩٩.

قام الباحث بمحاولة للربط بين نظام الفدرالية وبين اجراءات تطبيق فكرة الفدرالية لتوفير التعايش المشترك في تلك المجتمعات، واتخذ كندا كنموذج تطبيقي للبحث، كما تناول الباحث الحلول الدستورية للتعايش المشترك في كندا.

٢- منهجية البحث:

منهج البحث منهج تحليلي استنباطي، أي تحليل مفهوم الهوية والتعايش ومقوماتهما ومركزاتهما لاستنباط العلاقة بينهما ومدي ارتباط الهوية والتمسك بها والتأكيد عليها من خلال التعايش.

وأشكاله من منظور إسلامي، تحرير متين شريف أوغلو، مكتبة أذن، استنبول (٢٠٢٠): ٢٤٠ - ٢٧٩
قام الباحث بتوضيح رؤية مفكر ألماني يدعى يورغن هابرماس عن مفهومه عن التعايش السلمي والاعتراف بالآخر من خلال تحليل مقولاته عن الفعل التواصلي، محاولة منه للإجابة عن تساؤل انبثق من خلال رؤية هابرماس حول مفهوم التعايش وهو "هل يمكن تطبيق تجربة هاربرس التواصلية بشروطها ومعاييرها ومبادئها في المجتمعات العربية؟"

١١- التعايش في بلدان الربيع العربي ما بعد الثورات: مقارنة سوسيولوجية بين دستور المدينة والعقد الاجتماعي، محمد سليمان الفارس من كتاب التعايش وأشكاله من منظور إسلامي، تحرير متين شريف أوغلو، مكتبة أذن، استنبول (٢٠٢٠): ٢٨٠ - ٣٠٣

قام الباحث في بحثه بمحاولة لإيجاد طريقة تساهم في تحقيق إعادة بناء الثقة في المجتمع فاستعرض وثيقة المدينة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود والنصارى في المدينة وذلك لتنظيم علاقة أهل البلد ببعضهم البعض بمختلف خلفياتهم الدينية للعيش المشترك، ثم استعرض ما كتبه الفيلسوف جان جاك روسو حول العقد الاجتماعي، وذلك للخروج بمنهجية لإعادة البناء الاجتماعي في دول العالم العربي التي تأثر بنائها الاجتماعي بسبب اضطرابات داخلية شهدتها تلك الدول.

١٢- التعايش السلمي من منظور إسلامي. عبدربه عبد القادر العنزي مجلة جامعة القدس المفتوحة

٣- تعريف الهوية:

مصطلح الهوية مصطلح غامض وغير واضح الملامح، خصوصاً في السنوات الأخيرة مع تفاعل المجتمعات من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، الذي كان أحد افرازات الانفجار التكنولوجي. مرّ مصطلح الهوية بتاريخ طويل من التعريفات، حيث كان لهذا المصطلح دلالات لغوية في الستينيات الميلادية تختلف عن الثمانينيات، اختلفت عن استخدامنا لهذا المصطلح اليوم.²

تتضمن الهوية ردود الناس الصريحة أو الضمنية على السؤال: "من أنت؟"، هذا السؤال قد يبدو بسيطاً، لكن في الواقع هو سؤال معقد للغاية، فمثلاً: يجب أن نلاحظ أن "أنت" يمكن أن تكون مفردة أو جمع، وبالتالي يمكن أن تشير الهوية إلى التعريفات الذاتية للأفراد "أنا أب لطفلين، سائق سيارة أجرة، شخص عربي، عالم اجتماع إلخ، أو "أنتم" قد تشير إلى أزواج من الأفراد، أو مجموعات صغيرة، أو فئات اجتماعية أكبر "نحن آباء، نحن سائقي سيارات أجرة، نحن عرب، نحن علماء اجتماعيون، إلخ".³

مما سبق يتضح أن مصطلح الهوية يدل على أنواع مختلفة من الهويات يحددها السياق على النحو التالي:

النوع الأول: الهوية الذاتية أو الشخصية: يمكن القول بأنها أفكار وخصائص ومميزات ومهارات واهتمامات شخصية، تتعلق بإنسان بعينه تميزه عن غيره من الناس. إذن فالهوية هنا هي هوية ذاتية وهي عبارة عن مجموعة من الصفات والمميزات توجد عند أفراد تجعلهم منفردين ومتميزين عن غيرهم.

النوع الثاني: الهوية الاجتماعية هي موقع الإنسان كعضو في جزء من مجموعة أكبر، وانتماءه لتلك المجموعة، وغالباً يرافق هذا النوع من الهوية الولاء لتلك الفئة. على سبيل المثال قد يشجع شخص فريق رياضي معين، هذه هوية وانتماء لفئة في المجتمع تميزه عن من يشجع فريق رياضي آخر.

النوع الثالث: هوية الدور قد تكون هوية الدور من أقل أشكال الهوية التي تم مناقشتها وطرحها في الساحة الأكاديمية، وهي عبارة عن دور معين يقوم به الإنسان داخل نظام أكبر، بمعنى آخر أن هذه الهوية تتعلق بدور كل شخص داخل منظومة معينة، فمثلاً الأبوة لها دور والأمومة لها دور، كذلك سائق سيارة الأجرة له دور يختلف عن دور سائق الباص وهكذا. هكذا تختلف هوية الدور عن الهوية الاجتماعية بأنها عبارة عن دور معين يقوم به الفرد

³ Vignoles V.L., Schwartz S.J., Luyckx K. (2011) Introduction: Toward an Integrative View of Identity. In: Schwartz S., Luyckx K., Vignoles V. (eds) Handbook of Identity Theory and Research. Springer, New York, NY. https://doi.org/10.1007/978-1-4419-7988-9_1. Accessed date: 21. 02. 2021.

² Fearon, James. What is Identity (as we now use the word)? Department of Political Science, available on <https://web.stanford.edu/group/fearon-research/cgi-bin/wordpress/wp-content/uploads/2013/10/What-is-Identity-as-we-now-use-the-word-.pdf> Accessed date: 02.02.2021.

الهوية الشخصية هي مجموعة من السمات أو المعتقدات أو الرغبات أو مبادئ العمل التي يعتقد الشخص أنها تميزه اجتماعياً عن غيره وأن الشخص يفخر بهذه السمات أو المعتقدات أو الرغبات بشكل خاص، أو لا يفخر بها ولكنها توجه سلوكه بحيث يشعر أنه قد لا يُحسن التصرف إذا فقد تلك السمات.

5

إذن يمكن أن نقول أن الهوية تعني إما فئة اجتماعية محددة بقواعدها العضوية والسمات المميزة لها أو السلوكيات المتوقعة من تلك الفئة، أو السمة المميزة اجتماعياً التي يعتبرها الشخص مصدر فخر له أو ينظر إليها على أنها غير قابلة للتغيير ولكن لها تأثير اجتماعي، أو كلا الأمرين (فئة اجتماعية أو سمة اجتماعية).⁶ وهنا نلاحظ التداخل بين الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية (وهذان النوعان هما ما يهمننا في هذا البحث) فان كانت تلك الصفات والمميزات يمتلكها أفراد فهي هوية شخصية وإن شاركهم غيرهم فيها أصبحت هوية اجتماعية. فدين الإسلام مثلاً لا يعتبر ميزة تميز المسلم عن غيره إلا إذا تقرد بهذا الدين بين أناس من أديان أخرى هنا نقول أن هذه هوية شخصية لأنها ميزته عن غيره، أما إن كان مسلماً وسط مجموعة من المسلمين يعيشون في بلد متعدد الأديان فهنا نقول أن الدين

داخل نظام أكبر، بينما الهوية الاجتماعية هي مجرد انتماء لفئة اجتماعية معينة.⁴

يتضح مما سبق أن الهوية الشخصية تتكون من مجموعة من جوانب أو سمات تتعلق بشخص ما. قد تكون هذه السمات جسدية كالطول مثلاً، أو مكانة معينة في فئة اجتماعية، أو معتقدات خاصة بالشخص، أو أهداف، أو رغبات معينة، أو مبادئ أخلاقية، أو مسائل تتعلق بالأسلوب الشخصي. إضافة إلى ما سبق يجب أن تكون هناك جوانب أو سمات للشخص يدركها هو ويعرف أنها تشكل عاملاً مميزاً له عن غيره على الأقل؛ فليس من المنطقي مثلاً أن أقول إن جزءاً مهماً من هويتي هو كوني من سكان الأرض، فكوني من سكان الأرض لن يميزني عن غيري فالجميع هم من سكان الأرض. وفي كثير من الأحيان، تكون سمات أو جوانب الشخص والتي تشكل هويته هي الجوانب التي يفخر بها الشخص بشكل خاص أو قد يؤدي فقدانها إلى فقدان احترام الذات؛ أسلوبه الشخصي مثلاً أو أطفاله الموهوبون أو مهنتي أو هويتي العرقية أو الدينية أو قناعاتي الأخلاقية أو أهداف حياتي أو الثقافة المحلية المحددة التي أنتمي إليها كل هذه الأشياء يمكن فهمها على أنها تشكل الهوية الشخصية للفرد، وهي أشياء يفخر بها المتحدث وقد يفخر بإظهارها للآخرين كونها علامات تميز. لذا فإن بعض الكتاب يعتبرون أن

⁵ Fearon, James. What is Identity (as we now use the word)?

⁶ Fearon, James. What is Identity (as we now use the word)?

⁴ Rose, Steve. What is the Deeper Meaning of Identity? Steve Rose PhD Counselling. Available on <https://steverosephd.com/what-is-a-healthy-identity/> Accessed date: 02.02.2021.

تري حياة نياز بأن التعايش "اتفاق طرفين على تنظيم وسائل العيش - أي الحياة - فيما بينهما وفق قاعدة يحددها، وتمهيد السبل المؤدية إليها".⁸ إذن وبناء على هذا التعريف فالتعايش هو "اتفاق" بين أطراف، بطبيعة الحال يوجد اختلاف بين تلك الأطراف، لكن الكاتبة لم تبين طبيعة الاختلاف، وبهذا يمكن أن يندرج تحته جميع أنواع الاختلافات دينية كانت أم عرقية، سياسية أو اقتصادية، ثقافية أو علمية والقائمة تطول، هذا الاتفاق قائم على تنظيم الحياة بين الأطراف وفق قواعد يحددها الطرفان. غني عن القول بأن الاتفاق لا يمكن أن يكون بدون وجود تعاون بين الطرفين يُفضي إلى حل مقبول لدي الطرفين "اتفاق" يؤدي في نهاية الأمر إلى وئام وانسجام، إذن فالتعايش ليس مجرد "اتفاق" كما ورد في التعريف بل هو أعمق من ذلك وهذا ما أشار إليه عبدالسلام غالب حين عرّف التعايش بأنه "ضرب من التعاون المشترك الذي يقوم على أساس الثقة والاحترام المتبادلين بطوعية واختيار".⁹ وعلى هذا النحو ذهبت ميادة القاسم في تعريفها للتعايش بأنه "ضرب من التعاون الذي يقوم على أساس الثقة والاحترام المتبادل والذي يهدف إلى تحقيق أهداف يتفق عليها الطرفان أو الأطراف التي ترغب في تقبل بعضها".¹⁰

الإسلامي ميزة اجتماعية تميز ذلك المجتمع عن غيره من المجتمعات في ذلك البلد.

٤- تعريف التعايش:

من خلال استقراء ما كُتب حول التعايش نستطيع أن نقول بأن هناك اختلاف بين النقاد والكتاب في تعريف جامع مانع للتعايش، فمن متوسع فيه إلى آخر ضيق دائرة التعريف. تحت هذا العنوان سيحاول الباحث جاهدًا استعراض وتحليل ما وقع تحت يده من تعاريف حول التعايش.

تشير الدراسات بأن بداية ظهور هذا المصطلح في العصر الحديث كان في الستينيات الميلادية أثناء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي (الاشتراكي) والغربي (الرأسمالي). ظهر المصطلح في الاتحاد السوفيتي كرد فعل ضد من يقول بأنه لا يمكن للمعسكرين أن يجتمعا، فظهرت فكرة التعايش السلمي بين الكتلتين (الشرقية متمثلة في الاشتراكية، والغربية متمثلة في الرأسمالية)، قامت الدول الحليفة للاتحاد السوفيتي بتبني الفكرة، وبدأ مصطلح التعايش السلمي بالانتشار، ثم أصبح مصطلح التعايش السلمي في غالب استخدامه ينصرف للتعايش بين الدول أو التعايش السياسي.⁷

⁹عبدالسلام حمد غالب، أثر الحوار في التعايش مع الآخر، (٢٠١٣) متاح على <https://www.alukah.net/library/0/56987> تاريخ الدخول ٢٠٢٠/١١/٠١م

¹⁰ميادة القاسم، دور وسائل الإعلام في نشر وتعزيز ثقافة التعايش السلمي في المجتمعات: دراسة سوسيولوجية تحليلية، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠): ١٤٢-١٧٩.

⁷ Benvenuti, Andrea. "Constructing Peaceful Coexistence: Nehru's Approach to Regional Security and India's Rapprochement with Communist China in the Mid-1950s." *Diplomacy and Statecraft*. 2020. P. 91-117.
⁸حياة عبد العزيز محمد نياز، تصور مقترح لزيادة وعي طلاب الجامعات السعودية لمبدأ التعايش السلمي مع الآخر، مجلة العلوم التربوية، العدد ٢، (٢٠١٧): ٢٠٣-٢٦٤.

طالما وجد العمل، وينتهي ذلك الاحترام والتقدير (في بعض الحالات) بانتهاء العمل. والثاني هو قبول الآخر عن قناعة واختيار، وهو ما عبرت عنه الكاتبة بأنه "تعايش تعاوني". لعل هذا التفريق له وجه قوي، فإن التعايش لا يكون مبني على مصلحة أو منفعة فردية بحتة بل هو احترام وقبول أساسه ارتباط مجموعة من الناس في مكان معين يعترفون فيه بحقوق بعضهم للعيش بسلام.

لكن هل يشترط في هذا القبول والاحترام والاعتراف بالحقوق وتبادل المنافع "المحبة"؟ ذهب البعض إلى أن المحبة من لوازم التعايش فحسام فياض مثلاً يقول بأن التعايش هو "حب الآخر وقبوله بمستوى معين واستبعاد العنف بكل أشكاله فهو يرتبط بالحاجة إلى الآخر، أي أننا لا يمكن أن نتعايش مع الآخرين دون أن تكون هناك حاجة توجه هذه الرابطة"¹³. لعل هذا التعريف يحتاج إلى نوع من الغرلة وإعادة النظر، حيث إن ربط التعايش بـ "المحبة" غير دقيق، فقد يعيش الإنسان ويتعايش مع الآخر بدون وجود عنصر "المحبة"، بل هو يتعايش معه ويقبله ويتعامل معه باحترام وتقدير لأن ذلك من حق الآخر عليه، وليس محبة منه لذلك المختلف. وهذا هو الأصل، فإن العلاقات بين الناس وحفظ حقوقهم لا تقوم في الأساس على المحبة بل على أداء الواجبات وإعطاء الحقوق

على نقيض ذلك، هناك مجموعة من الكتاب فضلوا عدم استخدام مصطلح "اتفاق" في تعريفهم للتعايش، بل رءوا بأنه عبارة عن علاقة بين طرفين قائمة على الألفة. فرشيد كهوس مثلاً يرى أن التعايش هو عبارة عن "مجتمع متعدد الأعراق والانتماءات والديانات يعيش أهله في تساكُن وتوافقٍ ووثام على الرغم من اختلافهم الديني والمذهبي"¹¹، نلاحظ في هذا التعريف أن التعايش هو توافق ووثام وتساكن والذي من لوازمه قبول الآخر على الرغم من وجود الاختلاف، هذا القبول غير مبني على "اتفاق" بل بسبب المصلحة والحاجة وجد هذا القبول وذلك الوثام.

وبهذا قالت تغريد علي بأن "التعايش هو العلاقة بين نوعين من الأحياء والتي يستفيد خلالها كلاهما من الآخر، كما يعني أية تفاعلات ثابتة وطويلة الأمد بين نوعين أو أكثر من الأنواع الحية، إذ تكون مفيدة أو حيادية أو ضارة لإحدهما أو جميعها، وفي حالة استخدام المصطلح بمعناه الواسع، يسمى التعايش بمعناه الضيق تنافعاً إذا كان مجبراً، أو تعايشاً تعاونياً إذا كان مخيراً"¹² هذا الاتجاه في تعريف التعايش فرّق بين أمرين الأول التعايش المبني على المصلحة حيث اعتبره تنافع وتبادل مصالح وليس تعايشاً، وقد يكون من أمثلة ذلك العلاقات التجارية أو العلاقات التي ترتبط بعمل ما فيكون الاحترام متبادل بين الطرفين

¹³ حسام الدين فياض، مفهوم التعايش السلمي والاعتراف بالآخر: محاولة للفهم في ضوء نظرية الفعل التواصل لهاربرماس، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠): ٢٤٠-٢٧٩.

¹¹ رشيد كهوس، التعايش السلمي بين الشعوب والأديان دراسة تأصيلية تطبيقية من خلال السيرة النبوية، مجلة أصول الدين، متاح على <http://dspace.asmarya.edu.ly/handle/123456789/85?show=full> تاريخ الدخول ٢٠٢٠/١١/٠١ م.

¹² تغريد حنون علي، التعايش موروث إسلامي ومبدأ سياسي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد ٢، (٢٠١٣): ١٥٣-١٧٦.

والتعامل بما ينبغي أن يكون، فالمشاعر والعواطف والانفعالات يجب أن تضبط تجاه ما اختلف فيه مع الآخر أو أعترض عليه أو اعتبره مصدر تهديد معنوي كالشعور بمهاجمة الهوية، ودافع ذلك دون شك، ليس المحبة بل الحفاظ على النسيج الاجتماعي والعلاقات الإنسانية وعدم الاخلال بالمنظومة الاجتماعية. ربما تعبير الألفة في هذا السياق أدق من المحبة لذا ذهب البعض أمثال طارق الحمودي إلى أن الأساس الذي يقوم عليه التعايش هو الألفة فيقول: "الألفة أس التعايش" والتعاشر، ومن طريف الدلالات أن الأصل في "أ ل ف" انضمام الشيء إلى الشيء ومنه التأليف، وأصل العيش ما يدل على الحياة والبقاء، ولا حياة ولا بقاء الا بالاجتماع والتعاون وفق نظام جامع مؤيد ومسدّد فهذا معنى التعايش، أن يتعاون الناس وينضم بعضهم إلى بعض في نظام لحفظ النفس والمال وما به قيام الحياة وبقاء النوع الإنساني¹⁴. وفي هذا وجه من الصحة، حيث قد يتعدّر الاختلاط بالناس دون وجود "الألفة بينهم" وليس المحبة، فالمحبة منزلة أعلى من الألفة قد يحصل بسببها (أي المحبة) الانصهار والذوبان وتقمص شخصية الآخر وهذا لا يحقق هدف التعايش كما سيأتي معنا.

أضاف مجموعة من الكتاب شرطاً مهماً في تعريفهم للتعايش له علاقة بموضوع البحث، ألا وهو الحفاظ

على الهوية وعدم الانصهار، فحسن العدوانى يُعرّف التعايش بأنه "اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين تربطهم وسائل العيش من المطعم والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، يعترف كل منهما بحق الآخر دون اندماج وانصهار"¹⁵. هنا نلاحظ بأن الكاتب أشار إلى أن التعايش يكون بين "مجموعة من الناس" لا تربطهم مصلحة شخصية بحتة بل بينهم حياة مشتركة من لوازمها الاعتراف بحقوق الآخر، شريطة أن يكون هذا التعايش دون "انصهار"، أي أن التعايش هو قبول الآخر والاعتراف بحقوقه على أن لا يؤدي ذلك إلى انسلاخ عن الهوية وفقدان لها وذوبان في هوية وثقافة الآخر.

لم يبتعد سمير علي في تعريفه للتعايش عن هذا الاتجاه، حيث عرف التعايش بأنه: "العيش المشترك مع الآخرين المبني على المسالمة والمهادنة والاحترام والقبول والتقدير للاختلاف الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية الأخرى، والاعتراف بحقوق الآخرين الأساسية، فالتعايش هو قبول الآخر والعيش معه بسلام دون سعي لإلغائه أو الإضرار به سواء

¹⁴ طارق الحمودي، التعايش المصطلح والمفهوم (٢٠١٨)، متاح على: <http://howiyapress.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD->

¹⁵ خالد حسن العدوانى، اللغة بين التواصل والتعايش، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠): ٢٣٩-٢٠٣.

وليس لطرف دون آخر، من هذه المنافع تأمين الإنسان على نفسه وماله وعرضه ودينه في المكان الذي يعيش فيه، وهو أحد الأغراض التي لأجلها وجد التعايش كما سيأتي معنا في الفقرة التالية.

٥- أسس وأهداف التعايش من منظور إسلامي:

ذكرنا سابقاً إنه لا يمكن أن يوجد تعايش بدون وجود تعددية سواء كانت دينية أو ثقافية أو عرقية أو غيرها من التنوعات البشرية. نحاول تحت هذا العنوان أن نستعرض الهدف من التعايش من منظور إسلامي. وضع الإسلام ضوابط للتعايش من خلال اقراره لحقوق غير المسلمين، أهل الذمة: وهو مصطلح يطلق على غير المسلمين المقيمون في بلاد المسلمين "وله عهد من الإمام (الحاكم) أو نائبه بالأمن على نفسه وماله وعرضه مقابل دفعه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام عليه"¹⁷. تلك الحقوق الموثقة في القرآن والسنة تعتبر أسس التعايش التي ينبغي للمسلم أن ينطلق منها في تعامله مع المختلف ثقافياً أو دينياً، سنذكر بعضاً منها باختصار.

أولاً: حق العدل والمساواة والكرامة: يقول الله تعالى في سورة الممتحنة أية ٨ (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) أورد ابن كثير رحمة الله في سبب نزول هذه الآية، ما رواه عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، يقول: قدمت قتيلة

كان هذا فرداً أو جماعة أو طائفة دينية أو حزباً سياسياً أو دولة مجاورة أو غير ذلك"¹⁶.

نلاحظ في هذا التعريف أنه تحدث في تعريفه للتعايش عن "عدم السعي لإلغاء الآخر"، حيث يلزم من السعي لإلغاء الآخر فرض الثقافة والهوية وإكراه الآخر في الذوبان والانصهار فيها، هذا السعي لإلغاء الآخر ينسف التعايش جملة وتفصيلاً. فلا يمكن أن يكون هناك احترام وقبول واعتراف بالحقوق وفي نفس الوقت هناك سعي لطمس الآخر من خلال إلغائه، هذا الإلغاء هو طمس لهوية المختلف وابتلاع له، وهو يتناقض بلا شك مع الاحترام والتقدير، ثم إن التعايش ليس له مكان إلا بوجود التعددية في المجتمع، فبدون التعددية ليس هناك حاجة للتعايش حيث إن المجتمع في تلك الحال يعتبر أحادي التوجه وليس متعدد الاتجاهات والأفكار.

يتضح لنا من استعراض تعاريف التعايش، بأنه عبارة عن علاقة إنسانية متبادلة مع الآخرين، تقوم على مجموعة قيم يجب توفرها في المجتمعات المتنوعة دينياً أو ثقافياً أو اجتماعياً أو عرقياً أو بها جميعاً؛ هذه القيم عبارة عن اتفاق واحترام وقبول وتقدير وتعاون وإقرار بحق الآخرين وتوافق ووفاء وترابط واستبعاد للعنف وتواصل وتسامح وتفاعل وألفة وتنافع. والتنافع هنا يجب ألا يكون لطرف دون آخر بل هو تفاعل من طرفين من شروطه أن يقع النفع للطرفين

¹⁷ أوقاف الضحيان، موسوعة المصطلحات الإسلامية، متوفر على: <https://terminologyenc.com/ar/browse/term/6644> تاريخ الدخول ٢٠٢١/٠٣/١٦م.

¹⁶ سمير الشيخ علي، الهوية الثقافية السورية بين التعايش والصراع في مرحلة الثورة والحرب، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠): ٣٦-٤.

حرية في العمل والكسب ويحرم عليهم ما يحرم على المسلمين من ربا وغيره.²⁰

خامساً: الحقوق العقدية والفكرية: فلا يُكره غير المسلم على الإسلام، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة آية ٢٥٦ (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية "أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً"²¹

سادساً: الحق في التأمين في حالات الفقر والعجز والكبر في السن: ذهب بعض الفقهاء منهم الإمام أحمد وأصحابه، وأبي حنيفة ومالك، والشافعي في أحد أقواله إلى سقوط الجزية (والجزية هي مبلغ مالي يؤخذ منهم مقابل حمايتهم وعدم مطالبتهم بالقتال) عن كبير السن ومثله الأعمى والمريض الذي لا يُرجى برؤه من أهل الذمة قياساً على نساء وصبيان أهل الذمة حيث لا يطلب منهم القتال. فألحق كبير السن والمريض والأعمى (كونهم لا يستطيعون القتال) بالنساء والصبيان.²² وقد قال صلى الله عليه

على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا: صناديق وأقط وسمن وهي مشركة، فأبى أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخل بيتها فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله عز وجل (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها.¹⁸ وفي هذا دلالة واضحة على أن من سالم المسلمين وجب حفظ كرامته و العدل والمساواة معه.

ثانياً: حق عصمة الدماء والأعراض: يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الأنعام آية ١٥١ (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) وغير المسلمين المقيمون في بلاد المسلمين هم من معصومي الدم والمال والعرض.

ثالثاً: حق الحماية والأمن: فقد كفل الإسلام حماية غير المسلمين الذين يعيشون في أراضيها، إلا إذا ظهر منهم خيانة أو تأمراً على الدولة، يؤخذ هذا الحق من قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما "من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً".¹⁹

رابعاً: الحق في العمل والتجارة: يؤخذ هذا الحق من وثيقة المدينة حيث أقرت تلك الوثيقة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع ساكني المدينة من غير المسلمين أن لهم ما للمسلمين من حقوق من

¹⁸ الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، ط: ١ (١٤٢١هـ)، ص: ١٨٦٠.

¹⁹ صحيح البخاري، كتاب الديات، باب: إثم من قتل ذمياً بغير جرم، دار ابن كثير، دمشق (١٤٣٢هـ)، ج: ٦٥١٦.

²⁰ للاستزادة يمكن الرجوع لكهوس، مرجع سابق.

²¹ الحافظ ابن كثير، مرجع سابق، ص ٣٢١.

²² ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، دار ابن حزم، بيروت ط: ١ (١٤١٨هـ)، ج: ١، ص: ١٦١.

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ بقوله "والتعارف أمر ضروري بين البشر، لأن مصالحهم في أن يتعارفوا، وسوف تضطرهم ظروف الحياة لهذا التعارف، حيث سيحتاج بعضهم إلى بعض، لأنه كما قلنا: الحق سبحانه وزّع أسباب فضله على خلقه، فما توفر لك قد لا يتوفر لغيرك".²⁵ لم يخرج الشيخ الشعراوي في تعليقه على الآية عن حكمة الله عز وجل في اختلاف الناس في العقائد والأديان فالحق سبحانه يوضح ذلك جليا حيث يقول الحق تبارك وتعالى في سورة هود ١١٨-١١٩. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۚ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾﴾ إذن لو شاء الله لخلق عقول البشر على وتيرة واحدة وادراك واحد وفهم لا يختلف من شخص لآخر كما هو الحال في الحيوانات، ولكن مقتضى الحكمة في خلق البشر كونهم مختلفين في الشكل والثقافة والأديان والأعراف والتقاليد والأنساب لذلك يبين الحق في أية أخرى مشيئته وقدرته في جعل الناس على دين واحد ففي سورة يونس أية ٩٩ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۚ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فالله عز وجل له حكمة في أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ولعل

وسلم "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"²³.

بهذا علّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه كيف يتعاملون مع المختلف دينياً أو ثقافياً، ربّاهم على كيفية التعايش مع غير المسلمين بل رءوا ذلك منه صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال "كان سهل بن حنيف وقيس بن ساعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنّازة فقاما، فقليل لهما إنيهما من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقالا: أن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنّازة فقام، فقليل له أنها جنّازة يهودي، فقال أليست نفساً؟"²⁴

تلك الحقوق هي بمثابة أصول التعايش السلمي وأساسه من منظور إسلامي والتي يجب على المسلم الالتزام والعمل بها، والحكمة من ذلك والغرض منها هو حفظ الضرورات الخمس من دين ونفس وعقل ونسل ومال. وعليه فالإسلام لا يريد بإثبات تلك الحقوق ذوبان غير المسلمين بغيرهم بل الحفاظ على كل مقومات حياتهم بما فيها حقهم في التمسك بدينهم. هذا هو مفهوم التعايش والغرض منه في الإسلام هو الانفتاح على الآخر، وتبادل المنافع معه مع الحفاظ على الهوية.

علق الشيخ متولي الشعراوي رحمه الله على قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

²⁵ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، ص: ١٤٤٧.

²³ سنن أبي داود، كتاب الخراج والفى والإمارة، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة، دار السلام، الرياض (١٤٢٠هـ)، ج: ٣٠٥٢.
²⁴ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: من قام لجنّازة يهودي، مرجع سابق، ج: ١٣١٢.

التعارف هو مقصد يجتمع عليه الناس باختلاف ألوانهم فالحق يقول في سورة الحجرات آية ١٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فالاختلاف في النوع لا يقتضي التنافر بل ما خلق الله الخلق ولا جعلهم مختلفين إلا ليتعارفوا ويتعاشوا وينفع بعضهم بعضاً ويحفظ بعضهم بعضاً، فأصل العلاقة بين الناس من منظور إسلامي هي علاقة سلام وتعایش وتعاون.

إذن يتضح من جميع ما سبق بأن الغرض من اختلاف الناس هو التعایش الذي تتحقق به أحد مقاصد الشريعة وهو حفظ الضرورات الخمس الدين والنفس والمال والعرض والعقل، وحتى يكون هذا التعایش تعايشاً حقيقياً يستلزم منه استمساك الأفراد بهوياتهم ودينهم وثقافتهم والحفاظ على خصوصياتهم ومميزاتهم، وعدم ذوبان وتمييع الهويات.

في هذا الصدد يعرف علال الفاسي مقاصد الشريعة بقوله "المقصد العام للشريعة هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعایش فيها واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخياراتها وتبدير لمنافع الجميع".²⁶ ولا يتم ذلك إلا بالتعايش وفي هذا يقول طارق الحمودي: "يعد التعایش "أمانة" للمجتمع، وحماية له من الدسائس الداخلية التي يسعى فيها أهل الخيانة والنفاق،

فالتعايش بيئة يصعب على غير أهله العيش فيها، فالتعايش ماء عذب زلال لأنه يذيب كل شائبة شذوذ ويطفئ كل نار فتنة، وقد كان في المدينة منافقون أغروا اليهود بنقض العهود، وتواطؤوا مع مشركي قريش أعداء الأمة، فكانت بروابط التعایش وصمامات أمانة محصنة من أذاهم، فسريراً ما تطهرت المدينة من كل ذلك، واستمر أمرها على التعایش مع من يريده داخل المدينة وخارجها.²⁷

لكن قد يظن البعض أن التعایش مع الآخر المختلف هو ضعف وخنوع وانقياد، وأن التعایش لا يكون من القوي وإنما من الضعيف، فالقوي هو من يملئ شروطه وأحكامه ويفرض على الآخر ثقافته ودينه. لو رجعنا إلى عمل النبي صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن هذا الفهم للتعایش يُعد فهماً غير دقيق، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان هو الحاكم في دولة الإسلام في المدينة المنورة، فهو في موقف القوة لا الضعف وهو حاكم لا محكوم وعلى الرغم من ذلك فقد رسخ مبدأ التعایش من خلال وثيقة المدينة التي زخرت بأعلى القيم المدنية، حيث حفظت الحقوق والحريات، وركزت على الإخاء الإنساني من خلال ضمان المساواة التامة للجميع في المشاركة الفاعلة لشتى مجالات الحياة، ثم أكدت على احترام وجود التنوع الديني في تلك المدينة المباركة، فهي بمثابة الدستور الإسلامي الأول الذي أسس لمعنى التعایش الإيجابي دون ذوبان أو انصهار فئة في أخرى، حفظت تلك الوثيقة الخصوصيات،

²⁷الحمودي، (٢٠١٨) مرجع سابق.

²⁶الحمودي، (٢٠١٨) مرجع سابق.

ذلك في هذا البحث. هذه الأرض التي نعيش عليها خلق الله فيها من البشر ما تتفاوت به عقولهم وأفكارهم، ومن الصعوبة أن يعيش الإنسان مع نفسه دون أن يختلط ببقية المجتمعات الأخرى، التي قد تؤمن بغير ما يؤمن به، دون أن يدخل في عملية تبادلية مع ذلك المجتمع أو أولئك الأفراد المختلفون عنه، عملية تقوم على التوافق حول مصالح أو أهداف أو ضرورات مشتركة، والتي من أهمها حفظ الضرورات الخمس والتي بها يكون إعمار الأرض.²⁸

إن الحديث عن التعايش لا ينفك عن الهوية ومواطن الاتفاق والاختلاف فيها بين المتعايشين، وكما بينا سابقا في هذه الورقة فمعنى الهوية متداخل ومتشابه مع عوامل أخرى فلو أخذنا مثلا الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية سنجد أنها تعني وجود علاقة مع مجموعة اجتماعية أوسع، وعندما نتحدث عن الهوية الوطنية أو الهوية الثقافية أو الهوية الدينية، على سبيل المثال، فإننا نعني أن هويتنا تتعلق جزئيا بما نشاركه مع الآخرين. هنا، تتعلق الهوية بالانتماء للآخرين الذين نفترض أنهم مشابهون لنا (وإن لم يكن تشابهاً متطابقاً تماماً)، على الأقل في بعض النواحي الأساسية. ثم أن الاختلاف في الهوية وتميز الفرد عن غيره يجعل لزاما عليه أن يتعايش مع من هو مختلف عنه.

ولعلنا نستخلص ونستنتج مما سبق النتائج التالية:

وأكدت على الهويات من خلال ضمان حرية الاعتقاد والتعبد، و كنتيجة لهذه الوثيقة التاريخية، زاد تعامل المسلمين مع غير المسلمين في عهده صلى الله عليه وسلم، على أساس مبدأ التسامح.

سار على هذا النهج صحابته الكرام ومنهم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في عهده التي سميت باسمه مع أهل فلسطين (العهد العمرية)، حيث أعطى فيها الأمان لغير المسلمين وأماكن عبادتهم، ولم يقتصر الأمان على ذلك فحسب بل شملت رموزهم الدينية من صلبان وغيرها حتى غدت حضارة الإسلام و أرض الإسلام من الأراضي التي ينشدها غير المسلمين للعيش فيها حفاظاً على دينهم وكرامتهم وهويتهم، مما جعل تلك المجتمعات (التي استوعبت اليهودي والنصراني وغيرهم) من أرقى المجتمعات وأجملها، حيث تزينت تلك المجتمعات وتميّزت بنسيج اجتماعي متين وقوي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً إلى اليوم، ذلك الأمان الذي عاش فيه غير المسلمين في ظل الإسلام جعل غالبهم يشعرون بأنهم جزء لا يتجزأ من ذلك النسيج، مما أدى إلى ظهور حضارة نافست غيرها بل تفوقت عليها في كثير من المجالات.

٦- الخاتمة

إن الإيمان بتعددية الحضارات، واختلاف الأمم، والأديان، والثقافات، امر واقع لا يمكن إنكاره أو تجاوزه أو الهروب منه، بل إن المنظور الإسلامي يجعل من الاختلاف سنة الهية وكونية كما سبق بيان

²⁸ من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠): ١٤٢-١٧٩.

²⁸ميادة القاسم، دور وسائل الإعلام في نشر وتعزيز ثقافة التعايش السلمي في المجتمعات: دراسة سوسيولوجية تحليلية، من كتاب التعايش وأشكاله

أولاً: أن تفرد الإنسان وتمسكه بهويته وتميزه عن غيره، هو عنصر أساسي في التعايش، فلا مكان للتعايش في مجتمع أحادي الهوية. حيث إن التعايش يكون مطلباً ملحاً وضرورياً في المجتمعات التي تتعدد فيها الهويات المختلفة، مثل الطبقة والعرق والدين والجنس، خصوصاً إذا كانت هذه الهويات سبباً للنزاع أو قد تؤجج النزاع أو قد تتعزز تلك الهويات عند النزاع مما يسبب تكتلات داخل المجتمع يؤدي إلى تفككه.

ثانياً: إلغاء الآخر المختلف الذي يشاركنا الحياة، من خلال محاولة صهره وإذابته في الفئة الغالبة في المجتمع، هو إنكاء للصراع والحروب.

ثالثاً: الحفاظ على النسيج الاجتماعي يكون من خلال ضمان حقوق المختلف وحفظها وصونها، فضمن الحقوق هي التي تحقق الاستقرار والأمان للناس، وبالتالي تحقيق أحد مقاصد الإسلام من خلق الناس وهي عمارة الأرض، كما اثبتت ذلك الحضارة الإسلامية.

رابعاً: تتعدد الهويات وتختلف بالنسبة للفرد الواحد باختلاف السياق، فقد يصف إنسان نفسه بوصف بين مجموعة معينة من الناس، يختلف عن وصفه لنفسه بين مجموعة أخرى. فقد يصف نفسه مثلاً بين مجموعة آباء يتحدثون عن التربية بأنه أب لطفلين، ولكنه يتجاهل هذا الوصف حين يصف نفسه في اجتماع عمل.

ورجوعاً إلى سؤال البحث "هل التعايش الديني يستلزم فقدان الهوية؟" نقول على العكس تماماً فإن من لوازم

التعايش اختلاف الهويات وليس ذوبانها، أما إذا انصهرت الهويات في بعضها البعض، وتلاشت الفروقات بين الناس والمجمعات، فلن يكون للتعايش مكاناً في ذلك المجتمع، خصوصاً في زمن انفجار التكنولوجيا، عصر تلاشت فيه الحدود وتقاربت فيه الثقافات لدرجة أنه أصبح لا يفصلنا عن تلك الثقافات سوى لمسة بطرف إصبع، لذلك يوصي الباحث بدراسة موضوع مهم على الساحة، ألا هو هل التكنولوجيا تعتبر عاملاً مؤثراً في تشكيل هوية الإنسان؟ أو بمعنى آخر هل المادة التي تطرحها التكنولوجيا انعكاس لهوية المجتمع أم أن الهوية التي تطرحها التكنولوجيا هي التي تشكل المجتمع؟

المراجع

أولاً: المراجع العربية

ابن كثير، الحافظ، تفسير القرآن العظيم، ط: الأولى (١٤٢١هـ) بيروت، دار ابن حزم.

أحمد، هند عبدالله، مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام: دراسة وصفية تحليلية، مجلة آداب الفراهيدي، العدد ٨، (٢٠١١).

أوغلو، متين شريف، موقف الدولة العثمانية من التعايش وسياستها تجاه الأقليات، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠) استنبول، مكتبة أذن.

الجوزية، ابن قيم، أحكام أهل الذمة، ط: الأولى (١٤١٨هـ) بيروت، دار ابن حزم.

من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠) استنبول، مكتبة أذن.

كدور، نرجس، دور الحركة الفكرية في إثراء مفهوم التعايش في العصر العباسي الأول: رؤية تحليلية تاريخية، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠) استنبول، مكتبة أذن.

كهوس، رشيد، التعايش السلمي بين الشعوب والأديان: دراسة تأصيلية تطبيقية من خلال السيرة النبوية، مجلة أصول الدين.

نياز، حياة عبد العزيز محمد، تصور مقترح لزيادة وعي طلاب الجامعات السعودية لمبدأ التعايش السلمي مع الآخر، مجلة العلوم التربوية، العدد ٢، (٢٠١٧).

المصادر الالكترونية باللغة العربية:

أوقاف الضحيان، موسوعة المصطلحات الإسلامية، متوفر على:

<https://terminologyenc.com/ar/browse/term/6644>

تاريخ الدخول ٢٠٢١/٠٣/١٦ م.

الحمودي، طارق، التعايش المصطلح والمفهوم (٢٠١٨)، متاح على:

<http://howiyapress.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85>

تاريخ الدخول ٢٠٢١/٠٣/١٦ م.

رحومه، أحمد محمد، مفهوم التعايش بين الأديان، مجلة أصول الدين، العدد ٤.

سنن أبي داود، ط: الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، القاهرة، أخبار اليوم.

صحيح البخاري، ط: الأولى، (١٤٣٢ هـ - ٢٠٠٢ م) دمشق، دار ابن كثير.

العدواني، خالد حسن، اللغة بين التواصل والتعايش، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠) استنبول، مكتبة أذن.

علي، سمير الشيخ، الهوية الثقافية السورية بين التعايش والصراع في مرحلة الثورة والحرب، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠) استنبول، مكتبة أذن.

فياض، حسام الدين، مفهوم التعايش السلمي والاعتراف بالآخر: محاولة للفهم في ضوء نظرية الفعل التواصل لهاربرماس، من كتاب التعايش وأشكاله من منظور العلوم الإسلامية، تحرير متين شريف أغلو، (٢٠٢٠) استنبول، مكتبة أذن.

القاسم، ميادة، دور وسائل الإعلام في نشر وتعزيز ثقافة التعايش السلمي في المجتمعات: دراسة سوسيولوجية تحليلية، من كتاب التعايش وأشكاله

Rose, Steve. What is the Deeper Meaning of Identity? Steve Rose PhD Counselling. Available on <https://steverosephd.com/what-is-a-healthy-identity/> Accessed date: 02.02.2021.

المصادر الإلكترونية بغير اللغة العربية:

Buckingham, David. "Introducing Identity." Youth, Identity, and Digital Media. Edited by David Buckingham. The John D. and Catherine T. MacArthur Foundation Series on Digital Media and Learning. Cambridge, MA: The MIT Press, 2008. P. 1-24. Available on: <https://www.sovela.net/blogs/mestrado/wp-content/uploads/2011/06/doc1.pdf>. Accessed date: 10.02.2021.

Fearon, James. What is Identity (as we now use the word)? Department of Political Science, available on <https://web.stanford.edu/group/fearon-research/cgi-bin/wordpress/wp-content/uploads/2013/10/What-is-Identity-as-we-now-use-the-word-.pdf> Accessed date: 02.02.2021.

Khaminwa, Angela. Coexistence, Beyond Intractability Organisation. Available on: <https://www.beyondintractability.org/essay/coexistence>. Accessed date: 30.01.2021.

Vignoles V.L., Schwartz S.J., Luyckx K. (2011) Introduction: Toward an Integrative View of Identity. In: Schwartz S., Luyckx K., Vignoles V. (eds) Handbook of Identity Theory and Research. Springer, New York, NY. https://doi.org/10.1007/978-1-4419-7988-9_1. Accessed date: 21. 02 .2021.

السعيد، يسري وجيه، في مفهوم التعايش الديني: الماضي والحاضر والآفاق المستقبلية،

(٢٠٢٠)، متاح على <https://www.mominoun.com/articles/693>

7 تاريخ الدخول ٢٠٢٠/٠٩/٣٠ م.

علي، تغريد حنون، التعايش موروث إسلامي ومبدأ سياسي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد ٢، (٢٠١٣).

غالب، عبدالسلام حمد (٢٠١٣)، أثر الحوار في التعايش مع الآخر، متاح على

[/https://www.alukah.net/library/0/56987](https://www.alukah.net/library/0/56987)

تاريخ الدخول ٢٠٢٠/١١/٠١ م

كهوس، رشيد، التعايش السلمي بين الشعوب والأديان دراسة تأصيلية تطبيقية من خلال السيرة النبوية،

مجلة أصول الدين، متاح على <http://dspace.asmarya.edu.ly/handle/1234>

56789/85?show=full تاريخ الدخول الدخول ٢٠٢٠/١١/٠١ م.

ثانياً: المصادر غير العربية

Benvenuti, Andrea. "Constructing Peaceful Coexistence: Nehru's Approach to Regional Security and India's Rapprochement with Communist China in the Mid-1950s." *Diplomacy and Statecraft*. 2020. P. 91-117.

Buckingham, David. "Introducing Identity." Youth, Identity, and Digital Media. Edited by David Buckingham. The John D. and Catherine T. MacArthur Foundation Series on Digital Media and Learning. Cambridge, MA: The MIT Press, 2008.

Is Religious Coexistence Necessitating Loss of Identity?

Hasan M. Makhethi
Assistant professor
Islamic Law and Studies
Faculty and Arts and Humanities
King Abdulaziz University.

Abstract. there is no doubt that coexistence is a very important for societies to keep it in order and save it from disruption and civil wars. Many articles have been written on coexistence to address the problem of conflicts and the causes of such conflicts, such as the difference in identity, lack of acceptance, hatred, and aversion to the other, which led to the destruction of the humanity and devastation of the land rather than enliven it. These writings focused on the importance of coexistence and the necessity of accepting the other who is different religiously, culturally or ethnically, to prevent clashes and conflicts that may leads to the loss of lives. On the other hand, the bloom and expansion of social media resulted in appearing those who believe that; one of the most important components of coexistence is not focusing on the differences, but in order to maintain coexistence in a society, assimilation is inevitable.

The research discusses the value of coexistence in multiple-identities societies such as multiple-ethnicities, multiple-cultures and multiple-religions, and the importance of coexistence in those societies that are rich in pluralism, while preserving identity. The paper also addressed the definition of coexistence and identity. The reason for shedding light on this subject is two things, the first: technical progress, one of the results of which was the cultural openness that the world is witnessing today, which facilitated communication and meeting with other cultures. The second is misconceptions that led to de-identification by eliminating differences seeking coexistence. The research has shown the importance of preserving identity, as it is the incubator for coexistence.

Key words: identity – dialogue – coexistence.